المبحث الأول

نحو رؤية تربوية أعمق

obeikandl.com

obeikandl.com

إعداد غير كاف

من الأهداف العليا للتربية الواعدة صياغة الشخصية الإيجابية التي تسهم في تسريع عجلة النمو، وتعد نماذج متقدمة يعتمد عليها في إنجاز المهام الوطنية، وتحقيق المقاصد العامة.

وفيما لو فشلت المؤسسات التربوية وعلى رأسها المدارس في صياغة هذه الشخصية فإن الخرق سيتسع على الراتق، وتصبح سفينة المجتمع مهددة في أي لحظة بالغرق طالما أن الجموع المحتشدة على سطح السفينة يسودها الفوضى، ويعوزها وجود لغة حضارية تحول دون تورط البعض في تصرفات قد تودي بسلامة الجميع.

لقد كانت الحكمة تستدعي أن تُهذب مشاعر تلك الأفواج المسافرة إلى المستقبل المجهول، وأن تُبرمج عقولهم بطريقة تتناسب مع رحلة المفاجآت حيث لا أمان بغير يقظة وانتباه، ومن دون استجابة طبيعية للقانون العام للملاحة الذي يشترط أن يختفي الشغب، وتنتهي الفوضى ويحل النظام، ويتحقق التكيف السليم مع اللوائح والقوانين العامة.

ومن الغريب أن يتفق الجميع على أن عدم الالتزام بمبادئ السلامة لأي رحلة من شأنه أن يهدد سلامة الركاب، ويوسع دائرة

obeikandl.com

الخطر في حين أن ثمة تباينا في الرأي وتعارضا في وجهات النظر لدى المسؤولين عن رعاية الجيل حول ضرورة اعتماد الحيطة القصوى في برامج التربية والتعليم للحيلولة دون حدوث اضطراب اجتماعي يعيق حركة الجموع ويحبس أنفاس القطاع الأكبر ممن سيتأثرون بالفوضى والانفلات.

هذه السذاجة في النظرة إلى خطورة الفشل في صناعة الفرد الناضج هي التي أفرزت شخصيات مفككة لا تنتمي إلى وطن، ولا تدين بقيم الكرامة والشعور بالمسؤولية تجاه النفس والآخرين.

كما أن العجز في صياغة مناهج شاملة تربي النفس، وتشحذ همّة المتلقي لسلوك الدرب الأمثل هو المسؤول عن تفريخ نماذج طفيلية، تتعمد الإساءة الى نفسها ومجتمعها، وتطلق لنفسها العنان للتنفيس عن مشاعرها المتأزمة!

إن الفشل في صياغة المناهج التربوية الشاملة، إضافة إلى غياب البرامج العملية الهادفة إلى رفع كفاءة النخب التربوية، هو الذي أدى إلى فقر البيئة الدراسية من عناصر إنتاج الفرد الناضج وأفقد الأداء التعليمي الكثير من الألق والتميز، الأمر الذي تسبب في تبلد مشاعر الفئة المحرومة أسريا من عناصر الدعم، ومصادر التربية الفاعلة، ورشحها للانحراف والضياع.

إن هذا المناخ غير المواتي يؤكد حالة الفراغ التربوي الذي تعاني منه أمة المليار مسلم، فلو كانت هناك أولوية لبناء الإنسان،

ولو تهيأ توظيف حقيقي للموارد البشرية والإمكانات المادية، لكان الأداء المجتمعي وتحديدا الشبابي أداء راقيا، يتسم بالجدية والانحياز إلى المبادئ والمثل العليا.

إن تباشير اليقظة في محيطنا التعليمي تبدو بعيدة المدى، وقلوب الغيورين مازالت تشتعل أسى وتحترق لوعة على الأجواء الملبدة بالسحب السوداء التي علاها الران وملأها الصدأ.

وحتى إشعار آخر لا يعرف أمده سنظل نتجرع مرارات الفشل والإخفاق في التعامل مع الجيل الجديد!!

✎ ~ ~ ~

obeikandl.com

التكافؤ لا التجزيء

تقول الحكمة الشهيرة: «لا ينجم عن علاج قليل لشر كبير نتيجة كبيرة، ولكنه ببساطة لا ينجم عنه أي نتيجة على الإطلاق»!.

تفضح هذه الحكمة البليغة المعالجات الطارئة للأزمات الكبرى، وتجردها من أي فاعلية، كما تنفي عنها أي قيمة ضاربة عرض الحائط بشفاعات المنادين بالحلول الجزئية، المؤمنين بإمكانية إيجاد حلول عملية لمشاكل كبيرة عبر برامج محدودة، وأفكار بسيطة سرعان ما تتبعثر وسط الممارسات الخطأ تاركة خلفها مناخا يصلح للضعف كي يعيد تقديم نفسه من جديد.

والسمة التي يمكن رصدها للمعالجات السطحية التي لا تنفذ إلى الأعماق، هي أنها لا تترك أي أثر يمكن الوقوف عليه، ولا تقوى على السيطرة على المشكلات والأزمات خاصة وأنه كلما كبر حجم المشكلة أصبحت هناك حاجة ملحة إلى استنفار القادرين على التعامل معها بكفاءة وفاعلية، وأصبح اعتماد آرائهم والقبول بها طوق النجاة للخروج من الدائرة المغلقة التي صنعها الوهم بإمكانية حل الأزمات عن طريق الأفكار السطحية، أو المحاولات البسيطة التي لا يدعمها رأي سديد، ولا فكر ناضج!!

ويوم أن يتفاقم حجم الانحراف في المجتمع، ويصبح للجريمة حيز ومكان، فعلى المجتمع بكافة مؤسساته أن يفتح الإشارات الحمراء، وأن يواجه نفسه ليكتشف مواضع الخلل في نشاط مؤسساته ومدى إسهامها في إفراز الظواهر السلبية، وإعادة إنتاجها كأثر مباشر لغياب الدور الوقائي لدى عديد من المؤسسات الاجتماعية، وضعف الشعور بالمسؤولية إزاء دعم الجيل الجديد بكافة أشكال الدعم والمساندة.

لو أخذنا مؤسسة التعليم كأبرز المؤسسات المرشحة للحد من الجريمة، ومنع وقوعها، وتساءلنا عن مدى كفاءة هذه المؤسسة في إشباع حاجات الفرد إلى التعلم والمعرفة، واكتساب المهارات الشخصية التي تعزز من ثقته بنفسه، وتمنحه القدر المناسب من التوازن الداخلي، فلا شك أن الإجابة التي سنحصل عليها ستؤكد أن مدارسنا ـ في كثير من الأحيان ـ تعمل على تفريخ شخصيات يعتريها الضعف في جوانب عدة.

إن من السذاجة أن تغفل المؤسسة التعليمية عن احتواء الطالب المشاكس الذي يتخذ قراره الخاص بهجر مقاعد الدراسة، واللحاق بقطار المغادرين لميدان التربية والتعليم، نظرا لفداحة الضريبة المترتبة على بطالة الطلاب وهجرتهم الطوعية لأرض التعليم!!

عافية المجتمع إذن في قوة نظامه التعليمي، ومرضه في ضعف هذه المؤسسة الفائقة الأهمية، وكل خطوة باتجاه رفع مستوى

الكفاءة المهنية في هذا المحيط، ينبغي أن تتبع بخطوات سريعة تشكل في مجملها النظام التعليمي الجديد القائم على رؤية شاملة قادرة على جذب الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم.

وما الإبطاء في أداء هذا الدور إلا دليل الوهن والعجز المجتمعي وليس المؤسسي وحده.

✎ ~ ~ ~

obeikandl.com

بين المرونة العقلية والجمود الذهني

حين يلقي الإنسان نظرة عامة على التطور المعرفي الذي وصل إليه العالم الغربي، ويرى أن التخصص الدقيق، بل والفائق الدقة هو السائد في المنهج التعليمي في تلك الدول، يعتقد للوهلة الأولى، أن جمود التخصص سوف يقطع صلة الإنسان ببقية العلوم والمعارف، وسوف يجعل منه كائنا شبيها بـ (الروبوت) من حيث حفظه لعشرات النظريات العلمية، وعكوفه على مختبره أو معمله يقوم بعمليات فائقة الدقة في مجاله العلمي، نائيا بنفسه عن أي تفاعل مع إيقاع الحياة الصاخب الذي يلف عالمه الخارجي، ويملأ أفق تلك البيئة بضجيج يعلو على ضجيج المصانع مما جعل من أحد مفكري الغرب وهو (ماركيز) لا يتردد في وصف مثل هذا الإنسان بأنه أحادي البعد!!

غير أن الصورة الكاملة تحمل أجزاء أخرى تدل على حيوية تلك المجتمعات، وتطورها الذاتي في شتى المعارف الحياتية على النحو الذي يبعد عنها شبح التخلف في أي مجال من مجالات المعرفة، ويمنحها القدرة على استدراك جوانب النقص والقصور في مناهجها المطبقة، وطرق التعلم لديها.

obeikandi.com

فلقد صاحب الانطلاقة العلمية الواسعة انطلاقة أخرى في جانب المعارف الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والنظريات الاقتصادية والسياسية التي بلغت شأوا بعيداً في رسم ملامح حركة المجتمع، وفي تحديد الأطر والمسارات التي تنظم حركة العمل السياسي وفقاً لمبادئ الحرية التي منحت للأفراد، إلى جانب توافر الشفافية، وانسياب المعلومات من أعلى الهرم السياسي إلى القاعدة الشعبية الواسعة على نحو منع تكون الجليد بين الأفراد ونوافذ الفكر الإنساني، وألقى بالكرة في يد الشعوب، التي استلمت بدورها المبادرة في بناء عالم يحترم الإنسان، ويفتح أمامه الأبواب ليكون فرداً منتجاً قادراً على خدمة نفسه ومجتمعه(*).

وبالمقابل لو أردنا أن نسلط الأضواء على واقعنا العربي، وأردنا ان نقرأ سجل الإنجاز العلمي فإن النتائج لن تكون في صالحنا.

(*) إن الناس في الغرب يدركون أن ارتباط فروع العلوم بالفلسفة يماثل ارتباط الأغصان بالشجرة، أو علاقة الأعضاء بالجسد، بل إن العلوم حين انفصلت واستقلَّت عن الفلسفة بقيت في أحضانها، ليس فقط بحفزها وتحريضها وفتح المجالات الجديدة لتشعبها ووضع المناهج لقيادة عملها وتسديد خطواتها، وإنما أيضاً بقيت تشغل الحيز الأكبر من نشاطها، فمعظم شهادات الدكتوراه في جامعات الغرب تكون في فلسفة العلوم، وليست نتيجة تجارب ذاتية مباشرة، وهذا يؤكد أن انفصال العلوم في الغرب عن الفلسفة ما زال وسيظل انفصالاً جزئياً فالعقل الأوروبي والغربي هو عقل فلسفي، وكل نجاحاته العلمية والعملية مرتبطة بهذه المزية. إبراهيم البليهي مقال " علوم الغرب ما زالت نشاطاً فلسفياً " جريدة الرياض:
http://www.alriyadh.com/2004/10/31/article12665.html

obeikandi.com

فهناك فجوة معرفية بين العرض والطلب على مقاعد التعليم العالي في البلدان العربية، بلغت مطلع الألفية الثالثة 600 ألف طالب من خريجي الثانوية العامة الذين لا يجدون لهم مقاعد في جامعات بلادهم، ناهيك عن الركود في مجال البحث العلمي، الذي شحت موارده المالية، إلى جانب إحكام الحصار على الأستاذ الجامعي، والباحث النشط، وإنهاكهما في تكاليف وظيفية نمطية تكفي لتشغل كاهل أصحابها، وترمي بأحلامهم في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا شجر!!

أما على صعيد العلوم الإنسانية التي كان ينبغي أن تمثل امتداداً طبيعياً لحركة المجتمع نحو التطور والتجديد، فقد أصابها من عوامل التعرية والتجفيف ما جعل منها شيئاً كميا تختفي منه روح الإبداع، ولا يتجاوز ـ في مجمله ـ مستوى التعامل مع النقل الحرفي من بعض النصوص القديمة، التي يقتضي التعامل معها ثم تقديمها للجمهور قدراً من المعالجة العصرية، لتكون سهلة الهضم قادرة على التأثير في نفسية المتلقي، كما أن التعامل مع النظريات الغربية في مجال العلوم الإنسانية من خلال الترجمة والنقل لم يسلم بدوره من الأخطاء التي تزامنت معه.

إذ إن النقل الحرفي في جانب العلوم الإنسانية دون تفنيد تلك النظريات وإخضاعها لمعاييرنا الخاصة، ورؤانا التي ننطلق منها في قبول الأفكار أو في رفضها لم يتجل في تلك الدراسات التي اكتفت بالنقل والترجمة، وعجزت عن إضافة البعد النقدي، ما فرّغ

الساحة من الجهود النوعية القادرة على إنارة العقل المسلم، وإثرائه بالمعرفة الحية المعينة له على قراءة الواقع المعاصر قراءة نقدية موضوعية تكسبه المناعة الذاتية، والثقة بالتراث.

~ ~ ~ ✎

obeikandl.com

غياب المؤدب خسارة لم تعوض

أكبر النتائج المترتبة على ظاهرة انحسار القدوة والمثل من حياة الشباب، ما نراه من تهالك -يدعو إلى الرثاء والإشفاق- على كل ما هو غريب ومستورد، من الأفكار والقيم الغازية القادمة من شعوب لا تمت عاداتهم بصلة لعاداتنا، ومواريثنا الأخلاقية.

وحين يرخي الفراغ الفكري والسلوكي بظلاله على مشهد الحياة الاجتماعية، ويغيب المثل عن الحضور والتأثير على الشباب يصبح من السهل أن يتجاوب كثير من أفراد الجيل الجديد مع الصوت الأكثر ارتفاعا، والوجه الأكثر حضوراً، والفكر الأكثر تداولا، لا بسبب الانبهار بالموجة الغربية القادمة فقط، ولكن بسبب ضعف الأصوات التي تنادي بالعودة إلى الموروث القيمي والأخلاقي والذي مثل أكبر مصدر للتأثير في الحياة الاجتماعية طيلة قرون عدة، وكان السبب المباشر في الحفاظ على تماسك المجتمعات المسلمة في المراحل الزمنية السابقة.

لقد كانت الوسائل المتبعة في القرون الماضية قادرة على التأثير في نفسية الفرد، ولها من النفوذ والفاعلية ما يجعل الناس ينجذبون إلى المضامين والأهداف التي أسستها المبادئ، وأرستها قواعد الأخلاق.

obeikandi.com

ومن أكثر الوسائل التي أثرت على خصوبة ذلك المجتمع وغناه بالموارد العلمية، والطاقات الشابة التي أدت دورها نحو المجتمع بكفاءة وأمانة أثارت إعجاب العالم في تلك المرحلة التاريخية، ذلك الدور الذي أداه «المؤدب» في حياة الأجيال التي ارتبطت به، ومدت معه حبال الوصل، وأرست جسور العلاقة الصلبة بكل ماله صلة بالمعرفة والثقافة والبناء.

لقد كانت علاقة المؤدبين بالأبناء الذين أسند إليهم أمر توجيههم ورعايتهم، علاقة تجاوزت في دفئها وغناها دور المعلم الذي لديه مادة محددة، ومنهج مقنن، ومفردات معرفية يريد إيصالها إلى الناشئة، وأخذت تنمو مع الزمن، وتعزز من مشاعر الانتماء إلى تلك البيئة الواعدة في نفوس الدارسين.

كان «المؤدب» يرى نفسه أبا ثانياً للأطفال الذين يتولى تأديبهم ما أكسب الأطفال الثقة بالعلم وأهله، وأكد لديهم الشعور بأن طريق تحقيق الذات يبدأ من الالتزام والاستجابة مع تعاليم المؤدب، ونصائحه، وتوجيهاته الفريدة.

إنها علاقة قاومت مع الزمن عجلة الحياة السياسية التي كانت تتقلب ولا تثبت على خط مستقيم، ولكن أمر التربية كان منيعاً، وفي منأى عن التذبذب، أو الاضطراب.

لقد كان إخراج جيل صلب يفهم لغة العلم جيداً، ويستعد للمستقبل بعيون قرأت الأمس، وفهمت الواقع، وتملك نظرة طموحة

إلى المستقبل هو خيار المجتمع بأسره، وليس خيار أفراد منه معدودين.

واليوم وقد توارى دور «المؤدب» في صفحة مطوية من تاريخ هذه الأمة المضيء، ترنو الأنظار إلى «المعلم» و«المعلمة» للوفاء بذات الدور الذي برع فيه المؤدبون، وأجادوا من خلاله التعامل مع الإنسان، ونجحوا في مهمتهم، والتاريخ يشهد على ذلك.

وما نشهده اليوم من تراجع المخرجات التعليمية، وانخفاض الطموح لدى أفواج الخريجين والخريجات يجعلنا نتساءل عن طبيعة أداء المعلمين والمعلمات، ولماذا لم يستطيعوا أن يسدوا الفجوة التي خلفها «دور المؤدب»، ولماذا لم يتداركوا القصور الذي لمسه الجميع؟!!

فانخفاض الطموح، وضعف الإحساس بالقدرة على إضافة دور نوعي في الحياة العملية، والعجز عن تحديد الاتجاه الأمثل، والفتور في التعامل مع القضايا العامة، إضافة لصعوبة ترتيب الأولويات القادمة، أو تنظيم الأفكار في اتجاه إنجاح المهمات العلمية التي ستوكل إليهم في المرحلة الجامعية، هي إشارات واضحة على أن الجيل قد فقد الاتصال الحقيقي مع المصدر التعليمي الأول الذي كان وما يزال مرشحا لبناء الإنسان علما وخلقا ونفسا وسلوكا..

إن واجبكم أيها المعلمون والمعلمات اكبر بكثير من مجرد تلقين المنهج، وإعداد ورقة الامتحان..

✎ ~ ~ ~

openkanadi.com

التخصص الدراسي والقرارات الفوقية

موضوع «التخصص الدراسي» من الموضوعات التي لم تصادف جهوداً نوعية تهدف إلى توعية جمهور الآباء والأمهات بالمعايير العلمية الصحيحة التي يبنى على أساسها اختيار التخصص الدراسي في المرحلة الجامعية.

وقد نتج عن قلة المعلومات الدقيقة حول هذا الجانب طائفة من المفاهيم التي روج لها الناس باجتهادهم الشخصي، وبما توافر لهم من تراكم الخبرة بأنواع التخصصات الجامعية والآثار المترتبة على اختيارها فصاغوا كنتيجة لتلك المعطيات معاييرهم في النجاح الدراسي وتاليا في الحياة العملية.(*)

وفي حال غياب الأجواء العلمية والمعلومات الدقيقة حول الحقول المتصلة بحياة الإنسان، يصبح بإمكان الأفكار غير الفاعلة أن تنمو وتنتشر لتشمل الشرائح التي لديها قابلية الإيمان بالأفكار الشائعة، بغض النظر عن جودة تلك الأفكار وصلاحيتها للبقاء.

ولعل من أبرز نتائج التجاوب مع الأفكار التي لا تحظى بنقد علمي مؤسس على معايير صحيحة ما نراه من أساليب التنحية

(*) للوقوف على طبيعة المناخ العلمي الأمثل، راجع، الطريق إلى النبوغ العلمي، عبدالرحمن العيسوي، دار الراتب الجامعية: بيروت .

obeikandi.com

والتحييد لرأي الابن أو البنت في نوعية التخصص الدراسي الذي سيدرسانه بعد التخرج من المرحلة الثانوية.

فالصورة لدى بعض أولياء الأمور تبدو مقتصرة على الهالة التي رسمها المجتمع لبعض التخصصات العلمية، التي جعلتهم يعتقدون بانتفاء وجود بديل للتخصصات العلمية الأكثر جماهيرية بين الناس!!

فيما لو قوبلت رغبة هذه الفئة من الآباء بالرفض فهل يؤيد عاقل فكرة جر الطالب إلى ميدان لا يتحمس له، وإلى دراسة لا تلامس رغبة داخلية لديه ولا تحظى باهتمامه الخاص؟!

الجواب الذي يدفع العلم باتجاهه، ويحرص على الاستجابة له هو أن الرغبة الذاتية هي الشرط الأول للنجاح الدراسي والمهني أيضا وأنه بدون الرغبة الذاتية يكون الأمر أشبه بمناطحة سنة من سنن النجاح البشري، ومصادرة قانون من قوانين الحركة والإنتاج المرتبطين بسلوك الإنسان.

فالمجاملة لو صلحت في بعض المواقف الاجتماعية ينبغي أن يمتنع عن ممارستها في ميدان العلم والمعرفة، والموافقة الصوتية التي لا تحظى بقبول قلبي، هي نوع من تضييع أثمن أوقات العمر دونما سبب وجيه.(*)

(*) القادة في مجالات الفكر والفعل والإبداع والاختراع والاكتشاف والمهارات الفائقة لا يمكن تفريخهم قصداً، ولا إنتاجهم عن طريق المدارس والمعاهد والجامعات =

obeikandi.com

قد يبدو للبعض أن رضى الوالدين يكفي ليكون أداة تحريضية وتحفيزية تحرك الرغبة الداخلية وتؤجج الحماس، وتشعل الطاقة العقلية، وتقوي الإرادة على السير في اتجاه ما طلب الآباء وأرادوه.

لكن السؤال الذي يبدو ملحاً هو: هل يقوى كل طالب على التجاوب مع إرادة الأبوين، والتوافق مع رأيهما الخاص، بينما تنطوي سريرته على حلم آخر، ورغبة مغايرة يرى فيها أمنيته الغائبة التي اقترب أوانها بعد الحصول على الشهادة الثانوية، والتمكن من الانتقال إلى مرحلة دراسية مختلفة يحقق فيها ذاته، ويبني فيها كيانه العلمي، وشخصيته المستقلة؟!!

ثم ما جدوى إطراق الرأس، وإعلان الموافقة لرأي الأبوين، والالتحاق بالتخصص الذي اختير له دون الاعتناء برغبته الخاصة، وحماسه الذاهب في اتجاه آخر.

في أحسن التوقعات ستمر سنوات الدراسة ثقيلة على الطالب الذي سيق مرغما لدراسة لا يتحمس لها، وكل ما سيحوز عليه من

= وإنما هم نبات استثنائي نادر، فيخرجون عن المألوف بنبوغهم وحده، ويبنون أنفسهم بمحض اهتمامهم وسخاء مواهبهم، دون أن يخطط أحد لتكوينهم أو خلق الفرص لهم، أو حملهم على أكتاف غيرهم، إنهم يظهرون من حيث لا يتوقع أحد ظهورهم فلا فرق بين أن يكونوا من أسر غنية أو فقيرة، ومن أبوين متعلمين، أو أميين إنهم نتاج أنفسهم وليسوا صنيعة غيرهم " إبراهيم البليهي مقال: الطبيب كليمنصو قاد فرنسا إلى النصر http://www.alriyadh.com/2005/03/20/article49173.html جريدة الرياض الأحد ١٠ صفر ١٤٢٦هـ - ٢٠ مارس ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤١٨ - السنة الثانية والأربعون.

obeikandl.com

تقدير لن يتجاوز السقف العادي للنجاح حيث لا إبهار ولا أثر يحرك له الأنظار.

ما يؤكد فاعلية تحقيق الرغبة الذاتية للدارسين التميز الملحوظ في أداء الفئة التي تهيأ لها اختيار الحقل الدراسي الذي تريده سلفاً، في مقابل لا فاعلية الفئة الأخرى الذين صودرت رغبتهم الخاصة حيث نلمح أداء بارداً، ونرصد سلوكا نمطيا ليس فيه من نفحة الإبداع، ولا من روح التحدي!!

تلك الروح السلبية مبعثها أسباب كثيرة منها أن الدراسة الجامعية كانت مبنية على اختيار الأهل وليس على اختيار هذا الإنسان الضئيل الإنتاج.

تجربة حية

ما زلت أذكر المعارضة النسوية التي واجهتني بها مجموعة من المشاركات في دورة "المد والجزر في حياة المراهق" التي استهدفت شريحة من التربويات العاملات في ميدان التعليم وبعض الأمهات، فقد رأت بعض السيدات أن فكرة ترك الخيار للأبناء لاختيار التخصص الجامعي هو مطلب شبه مستحيل؛ خوفا من تفويت الفرصة على أبنائهم لتعلم الطب أو الهندسة، وهما المجالان اللذان يرونهما أكثر ضمانا لمستقبل مشرق.

obeikandi.com

إن الصـورة الكاملة لا تقـرأ وفق هذا المنطق النـاقص، فـثـمـة تداعيات وظروف تحتم على الجميع أن يحسبوا لها حسابها الذي تستحق.

وبقوة يدعم الواقع هذا التفسير عبر قافلة المبدعين وفرق بناة النجاح في كافة التخصصات العلمية والأدبية؛ ليستيقن المتشككون أنه ما تقدم أحد في مضمار، أو انطلق في ميدان من ميادين المعرفة إلا وله علاقة عاطفية، وارتباط نفسي يربطه بالحقل الذي أبدع فيه!!

وفي حين يتراجع الطالب الذي يدرس في غير التخصص الذي أراد أمام العقبات والتحديات التي تعرض له، فتتكسر عصيّه ورماحه أمام الظروف الطارئة، والمفاجآت غير المرغوبة التي تصادفه أثناء مسيرته الدراسية، يزداد الطالب الذي اختار تخصصه بنفسه قوة وصلابة أمام مفاجآت الرحلة المطلوبة.

وكم أجاد أبوفراس الحمداني وصف المكانة العليا التي تتربع فوقها الإرادة الحرة حين قال:

تهـون علينـا في المعـالي نفوسـنا

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر(*)

(*) هو أبو العلاء الحارث بن سعيد بن حمدان، فارس من أسرة بني حمدان وشاعرهم ولد في الموصل سنة ٣٢٠هـ، ونشأ يتيما، فكفله ((سيف الدولة))، قال عنه الصاحب بن عباد: ((بدئ الشعر بملك وختم بملك ويقصد امرأ القيس وأبا فراس)).

وشأن الطالب الجاد أنه لا يقل عن غيره من ذوي الهمم العالية فالطموح الكبير الذي يتمتع به، والفهم الجيد لقدراته الذاتية كفيلان بإنجاح أهدافه، ومده بالطاقة المتجددة القادرة على تثبيت أقدامه ورفع معنوياته إذا ما واجه تحدياً علمياً، أو صعوبة خارجية.

كما أن المجتمع اليوم هو أحوج ما يكون إلى أولئك القادرين على التعبير عن ذواتهم، وعلى تحقيق أهدافهم المعرفية على أرض الميدان، وعبر المحك الحقيقي الذي تتكشف أمامه النفوس حيث لا نجاح دون مقدمات صحيحة وتجربة نافذة.

إن انخفاض روح الحماس، وتدني درجة الطموح هما الثمن الأسرع الذي يكون من نصيب كثير من الطلاب والطالبات ممن غاب عنهم وضع أهداف مسبقة للحياة العلمية فالعملية، وبالتالي تسربت من بين أيديهم أوراق مهمة كانت قادرة على دفعهم إلى موقع الصدارة في المجتمع!!

✎ ~ ~ ~

obeikandi.com

جسور مهملة

«مجالس الآباء والأمهات والأدوار المفقودة» هذا هو عنوان ندوة أقترح أن تنظمها إدارات المناطق التعليمية إذا كانت مقتنعة بأن ثمة أدواراً حيوية غائبة عن الحضور في أداء مجالس أولياء الأمور خاصة وأن تلك الأدوار تصب مباشرة في صالح المؤسسة التعليمية، وتؤكد على الشراكة الحقيقية بين أولياء الأمور وبين المدرسة بكل ما تتطلبه المشاركة من تعاون، وتوزيع للمسؤوليات وتنظيم للأعمال، وتحديد مسارات البرامج التربوية التي تتبناها المدارس من جهة ومجالس الآباء والأمهات من جهة ثانية.

والحديث عن الحاجة إلى تفعيل هذا الجهاز التطوعي المهم من شأنه أن يفتح المجال على مصراعيه للمطالبة بتقويم أداء هذه المجالس، ومدى توافقها مع طبيعة التحديات التي تواجه الجيل الجديد، وتلقي بظلالها على تصوراته و نظرته للحياة من حوله في ظل تراجع برامج الرعاية والتربية المجتمعية، وفشلها في سد الفجوة النفسية الهائلة التي يعاني منها الجيل الجديد، والتي نتجت عن سيادة القيم المادية على حساب القيم الروحية والأخلاقية، مما خلق حالة من الشعور العام بعدم القدرة على ضبط السلوك، أو تجاوز هذا الواقع الذي لم يعد قادراً على دعم طموح الطلاب،

obeikandi.com

أو تلبية حاجاتهم النفسية والعقلية التي تدعمهم في بناء شخصيتهم المستقلة.

ومع تسليمنا بأن الضعف في أداء مجالس الآباء والأمهات هو نتيجة طبيعية لظاهرة الفتور التي تسود غالبية أفراد المجتمع في علاقتهم مع المشروعات التنموية المرتبطة ببناء الإنسان، إلا أن هذه الحالة ينبغي ألا يقابلها استسلام وإعلان العجز عن مقاومة التيار الغائب عن الوعي والعاجز عن الاتصال الفاعل مع قضايا المجتمع وأهدافه الكبرى.

والغريب أن الأفكار الإيجابية في أي مجال من مجالات الحياة من حولنا هي التي تنسحب وتؤثر السكون لصالح عدم المبالاة والسلبية، وظاهرة العزوف عن المشاركة والتعاون في حماية المجتمع وتحقيق قدر من الارتقاء والتطور به!!

ظاهرة تراجع الأفكار الجادة أمام الواقع الملموس تُعد من أخطر ردود الأفعال التي أضعفت أكثر من مشروع واعد، وأجهضت العديد من الرؤى والأحلام!!

وهذه الحالة الاستسلامية تراها أينما ذهبت، والشاهد الذي بين أيدينا "مجالس الأمهات والآباء" حيث بعد فشلها أكبر دليل على تراجع الأفكار الخلاقة أمام تحديات الواقع، مما يجعل مسألة التنمية المجتمعية التي قوامها الإنسان تعاني من مشكلتين في آن واحد، فبينما لا يتوانى أعضاء فريق الخمول وتلاشي الإحساس

بالواجب عن حشد العشرات من الأسباب التي يبررون بها موقفهم الانسحابي المخجل، والمثير للأسى والألم، نجد فئة أخرى لديها نسبة جيدة من الوعي، ولديها قدر من الرغبة في الانتماء إلى أي فكرة ذات مردود إيجابي على المجتمع، إلا أنها بعد أن تفشل في محاولة أو اثنتين أو أكثر ينقلب حالها من الحماس إلى فقدان الرغبة في الاستمرار، واختيار الانسحاب، ثم الصمت والسكون من جديد!!

والأسئلة الجديرة بالطرح وإيجاد الأجوبة الشافية لها هي: لماذا يظل الواقع هو السلاح الأكثر فتكا بأي فكرة وليدة تسعى إلى الاحتضان والحماية؟

وهل يظل انطفاء الإحساس بالمشاركة في دعم طموح مجالس الآباء والأمهات هو المعول الذي تترنح على ضرباته المشروعات الحيوية الواعدة التي تختار الانسحاب والرجوع إلى المكاتب والأدراج المغلقة بعد أن اكتفى القادرون بالاعتذار، وآثروا أن يرفعوا أيديهم عن التعاون مع تلك المجالس التربوية التطوعية التي نبعت من المجتمع ومن أجله ولصالحه؟

وهل ستظل السلبيات هي الحاكم الفعلي الذي يصدر يوما بعد آخر قراراً يتلوه القرار بعزل الأفكار الخلاقة، ونفيها من الحياة العامة، وتطبيق حراسة مشددة عليها تمنعها من الانفلات والتحرر؟

إنها أسئلة نتجت عن قراءة الواقع غير أن إجاباتها صعبة ومرة المذاق!

عدم فاعلية النظام التعليمي السائد

من الأمثلة العملية على السطحية الشديدة التي يتم التعامل بها مع طموح الطالب، ردة الفعل التي صدرت من بعض معلمات كن قد شاركن في أحد البرامج التدريبية التي تناولت موضوع تفجير الطاقات الطلابية، إذ علا الصمت الرهيب المكان حين أثرت سؤالاً يختص بكيفية تقويم إجابة طلابية تختلف عما ورد في المقرر المدرسي إذا ما أرفقت الإجابة بدليل علمي؟

لم يقطع الصمت سوى تكراري محاولة إفهامهن أن الإجابة تضمنت اسم المصدر الذي أخذت منه!

ومن جديد لم أتلق أي إجابة عن هذا السؤال مما أكد لي أن هناك إصرارا على تمثل الدور التقليدي للمعلم دون زيادة أو نقصان.

والأهم من ذلك كله أن هذه النظرة المحدودة أسهمت في إضعاف دور المعلم، طالما أن أصحابها يصرون على حصر النظام التعليمي في زاوية ضيقة يخشون معها لو فتح الباب لفكر مغاير يجتث هذه الإستراتيجية من الجذور، ويستبدل بدلا منها نظرية أكثر تحرراً وانطلاقا وكفاءة في النتيجة والأثر.

obeikandi.com

أول مبرر يسوقه أتباع المدرسة التقليدية الخائفون من تغيير قواعد النظام التعليمي، هو أن وزارات التربية والتعليم في عالمنا العربي تعتمد ذلك النظام لتسهيل آلية الانتقال التدريجي للطالب بين المراحل الدراسية المختلفة.

ولو أتيح للطالب أن يبحث كيفما يشاء عن المعلومة الدراسية لأصبح التقويم صعب المنال، وربما أصبح في حكم المستحيل، وبهذا تكون الوزارة قد جلبت لنفسها وللعاملين فيها وجع الرأس دونما داع أو سبب وجيه!!

وبسبب هذه الحجة الواهية تم إضعاف روح البحث العلمي لدى شريحة واسعة من الطلاب والطالبات، بل إنها تلاشت لدى جمهرة غفيرة منهم، حيث أذعنوا للنظام التعليمي السائد، والتزموا بحذافيره، فإذا ما انتهت مهمتهم تلك ووجدوا أنفسهم خارج مقاعد الدراسة لم يعد ثمة داع للمزيد من البحث، أو لمجرد السؤال هل ذلك النوع من التعليم هو النظام الفاعل الذي يتجاوب مع متطلبات العصر أم لا؟

لقد اختفى طرح مثل هذا السؤال عن أذهان عدد كبير من خريجي الجامعات ولا أقول المدارس، إذ إن العقود التي رسخت للطرق التقليدية في التعليم لم تعد تسمح بالتفكير في غيرها من الطرق.

ولأن السنوات الأولى من عمر الإنسان هي التي تحدد اهتماماته، وتشكل قناعاته، وتحدد له منظومة القيم، وتكون عاداته

obeikandl.com

التي يصعب بعد ذلك الخلاص منها، فإن السنوات التي يقضيها الطالب في المدرسة هي الأهم، وهي التي يجب أن ينطلق منها أي مشروع يستهدف الإنسان فكرا وكياناً.

وعليه، فإن المراجعة الشاملة للمنطلقات والأسس التي تصاغ من خلالها المقررات الدراسية، ينبغي أن تحظى بالأولوية في الخطة الإستراتيجية القادمة.

هذا إن كانت هناك نية حقيقية للإصلاح والتغيير!(*)

(*) يؤكد الواقع أن الأذكياء يخفقون فيما لا يميلون إليه ولا ينجحون فيما لا يهتمون به، وبالمقابل يتفوق العاديون إذا توفَّر لهم الاهتمام القوي المستغرق وهذه المفارقة أثارت اهتمام العلماء والباحثين واعتقدوا أن اكتشاف أنواع الذكاء يحلُّ هذه المفارقة فأعلنوا أن له أنواعاً سبعة هي: الذكاء اللغوي والذكاء المنطقي الرياضي والذكاء المكاني والذكاء الحركي والذكاء الموسيقي والذكاء الاجتماعي والذكاء الشخصي، لكنني انتهيت بعد تأمل طويل وبحث عميق واستقصاء دقيق إلى ما أعتقد أنه نظرية جامعة هي ما أسميته (عبقرية الاهتمام) فالأذكياء لا يتألقون إلا في المجالات التي يميلون إليها ويهتمون بها فمهما بلغ ذكاء الفرد فإنه يخفق فيما لا يهواه، ولا يهتم به كما أن الفرد العادي أو متوسط الموهبة قد يصل بالاهتمام القوي المستغرق إلى درجة العبقرية فلسبب ما تكوّن لدى اينشتاين اهتمام قوي مستغرق بالرياضيات والفيزياء فأبدع فيهما ولو اختلفت الظروف التي عاشها فلربما كان اهتمامه بالتاريخ أو المال أو السياسة أو الاقتصاد أو التأمل الاجتماعي وسيكون إبداعه مختلفاً باختلاف نوع ودرجة الاهتمام الذي يشغله لذلك فإنه في المجتمعات المختلفة ينبغي التركيز على تكوين الاهتمامات الجيدة وتغيير الاهتمامات الرديئة لتتغيّر مجالات النشاط وتتخلّق بيئة حافزة للإبداع فالعقول تنشغل بما تهتم به ذاتياً أما إرغامها على الاهتمام كما هو في التعليم المدرسي فلا يؤدي إلا إلى العقم والكلال... (محمد اسد مفكر لم ينل حقه من الدراسة) إبراهيم البليهي -جريدة الرياض الأحد 30 رجب 1426هـ - 4 سبتمبر 2005م - العدد 13586 .

http://www.alriyadh.com/2005/09/04/article91856.html

نقد الأفكار

«ما يستطيع العقل فهمه وتصديقه يستطيع تحقيقه»

"نورمان فنسنت. نيل"

تظهر هذه العبارة العلاقة المترابطة التي تنظم الفهم والسلوك في إطار واحد. فالمرء لا يقوم إلا بالعمل الذي يؤمن به، ويتوافق مع قناعاته الخاصة.

ولذا فإن جودة السلوك من جودة القناعات التي اجتهد الفرد النابه لتكوينها من مصادر معرفية لا يرقى الشك لفاعليتها في حياة الفرد العقلية، ولدورها في توجيه سلوكه في الاتجاه الصحيح.

وكل إهمال في حماية الذات من أن تتسرب إليها مفاهيم قاصرة أو مغلوطة، سوف يفوّت المزيد من الفرص على العقل ليكوّن منظومة قناعاته بطريقة علمية مدروسة، تحتكم إلى المعيارية وتنهج النهج العلمي، وتخضع بطريقة واعية للقوانين السائدة في شتى بحور المعرفة.

وحتى يكتسب العقل الواعي كل تلك القناعات العليا، عليه أن يعرف الطريق لنيل المعرفة، وأن يجتهد في بلوغها بغض النظر عن

obeikandi.com

الوقت الذي سيستفده باحثاً ودارساً وتلميذا مجداً، يحرص أن يبقي عقله في كامل نشاطه وألقه، وأن يظل مشدوداً إلى مصادر التنوير والإضافة والتكوين لمجمل أفكاره وآرائه.

وكم تجرع أشخاص كؤوس الأسى والندم، ودفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن قضايا خاسرة، ما كانت تستحق أن يلتفت إليها أو يُؤبه بها، والسبب إهمال مناقشة تلك القناعات التي أفضت بهم إلى الدفاع عما لا يستحق من الآراء، وتكريس العمر لغير ما سبب وجيه أو هدف يستحق إفراغ الجهد والطاقة من أجله!!

إن إهمال نقد الأفكار، وعرضها على ميزان العلم يدفع الفرد باتجاه نفق مسدود لا مخرج له إلا بمراجعة الذات، واكتشاف الثقوب الكبيرة في منظومة المفاهيم التي تحتاج إلى غربلة وتصفية عجز عنها الفكر المحدود، وارتضاها على علاتها وآفاتها وفقدانها للصلاحية والفاعلية.

من أوضح الأمثلة على الخسائر التي يتكبدها الأفراد والجماعات نتيجة المفاهيم المبتسرة، التربية الضاغطة التي يمارسها بعض الآباء تجاه أبنائهم من أجل الحصول على أعلى المعدلات الدراسية.

وقد غاب عن وعي هؤلاء الآباء أن حرمان أبنائهم من حقوقهم الطبيعية في التسلية والترويح عن النفس، سيؤدي بهم إلى كره

obeikandi.com

الدراسة والنفور منها، فالحماية الزائدة ليست أقل شراً من الإهمال والتفريط.

بل أزعم أن المبالغة في أخذ الاحتياطات لإنجاز هدف التفوق سيسحق روح الفرد، ويعطل لديه وظائفه العقلية، وسيطفئ حماسه نحو التعلم والبحث.

و ما نراه من تعسف في إدارة البيوت وفقاً لقانون الطوارئ، هو مقتل العملية التربوية، وكم أتخيل العلاقة الأسرية التي تفتقد الكثير من مقوماتها في ظل القيود الصارمة، والضغوط الشديدة التي تحول الجو الأسري إلى أجواء شبيهة بما يحدث في الثكنات العسكرية حين تتأهب للانقضاض على عدو يسابق الزمن لكسب الجولة، وتكبيد خصمه خسائر موجعة!!

وفي السياق نفسه أرى أن مجمل الأسئلة الشفوية التي تصلني في أثناء الدورات التدريبية أو بالهاتف، تؤكد أن من يحتاج إلى تنظيم المفاهيم وبناء سلم الأولويات في إدارة الوقت، هم الآباء وليس الأبناء.

حيث إن الصورة الذهنية المرسومة في مخيلة بعض الأمهات حول التفوق الدراسي هي صورة غير واقعية، وبها الكثير من المبالغات الخارجة عن حدود الاعتدال وعن خط التوازن.

كما أن هدف التفوق الذي يتبناه الآباء لا يحظى بآلية عمل فاعلة تتيح للأبناء فرصة الاختيار الواعي لنيل التفوق دونما حاجة

إلى افتعال الأزمات، أو اللجوء إلى العنف اللفظي أو الجسدي الذي يتسبب في حدوث أضرار نفسية وجسدية لا يمكن تسويغها تحت أي ذريعة أو عذر.

لقد حرم هؤلاء الآباء مصادر المعرفة بقواعد التعامل مع الأبناء، وحولوا بيوتهم إلى معامل للتجارب والاجتهادات العشوائية دون أن يلتفتوا إلى ضعف حصيلتهم المعرفية بأسس التربية الفاعلة، وبغير أن يبذلوا الجهد الكافي لتقويم سلوكهم التربوي مما نتج عنه سلسلة متوالية من الأخطاء في حق من يحبون، والتي كان بالمقدور تجنبها بالوعي والمعرفة.

✎ ~ ~ ~

obeikandl.com

أبناؤنا.. كيف نربيهم؟!

نتحدث عن التربية الشاملة التي من شأنها أن تقدم نموذجاً متكاملاً للتعامل مع الطفل بصورة ناجحة، وتؤدي إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة على أنها خيار الواعين والمهتمين من الآباء والأمهات.

ونصف هذه التربية الشاملة التي تستوعب حاجات الطفل المادية والنفسية والروحية والعقلية بأنها تربية ذات أبعاد كبيرة، تتجاوز العقبات التي قد تعترض أداء الأبوين اليومي، وتتصل عاطفياً وعقلياً بالهدف الكبير الذي رسمه الأبوان لأبنائهما في المستقبل! وحسب المعجم الوسيط فالبعد في اللغة يعني اتساع المدى، ورجل ذو بعد أي ذو رأي عميق وحزم.

وأبعاد الشعور في الدراسات النفسية هي مظاهر عملياتية من قوة أو ضعف، ووضوح أو غموض وطول أو قصر، ويشير البعد في العلوم التطبيقية إلى العلاقة التي يتحدد لها مقدار ما بالنسبة إلى المقادير الأساسية وهي الطول والوزن والكتلة.

ولو أردنا أن نحلل المخطط التربوي المتكامل لوجدناه يتضمن الخطوات الثلاث التالية، ولا يستغني عن أي خطوة منها .

obeikandi.com

فالخطوة الأولى لأي عمل تربوي يجب أن تحدد التصور أو الهدف من وراء الجهد الموجه للتعامل مع الطفل في المنزل، أو الطالب في المدرسة.

والخطوة الثانية يجب أن تحدد الوسائل والأساليب القادرة على إنجاح الجهود التربوية، والوصول بها إلى غايتها المرسومة.

والخطوة الثالثة تتجسد على الأرض من خلال الممارسات العملية التي تستوعب الهدف، وتلتزم بالأساليب الموضوعة بعناية وإذا ما أصاب الخلل إحدى هذه الخطوات الثلاث فإن العمل التربوي سيمنى بالفشل دون ريب، نتيجة الارتباط الوظيفي بين هذه المسارات التي يسلم كل منها إلى الآخر.

ومن هنا فإن لنا أن نبحث عن هذه الأوراق الرسمية التي اعتمدتها التربية الشمولية في الملفات العائلية التي تطايرت أوراقها من بين أيدي المعنيين وأصبحت طقوساً علمية، أو طلاسم من التاريخ يعجز عدد كبير من المربين والمربيات عن فهمها وتحقيق أبعادها.

فالخطوة الأولى من العمل التربوي الناجح تشترط تحديد الهدف بدقة وعناية، مع اختيار المقصد والغاية من التعامل والاحتكاك بالأبناء والبنات، وهو مطلب تشترطه التربية الواعدة لكنه يتكسر على صخور الواقع الأبوي الذي يبدو - في كثير من الحالات - بعيداً تماماً عن فهم هذا المغزى العميق، أو استلهام تلك

obeikandi.com

الروح القوية التي تحسن اختيار الهدف من جهودها مع الأبناء وتستطيع أن تتعامل مع الصغار من خلال المظلة التي شيدها ذلك الهدف المرسوم بعناية ودقة.

وبينما تتحقق الخطوة الثانية عبر التصور النظري للوسائل والأساليب الفاعلة في تحقيق مقاصد الآباء التربوية تترجم الخطوة الثالثة على شكل برنامج عملي يومي مدروس وقادر على استيعاب الأفكار النظرية وتنفيذها عملياً.

اللافت للنظر حقاً أن عدداً كبيراً من الآباء والأمهات لا تتوافق أساليبهم المتبعة مع أهدافهم الطموحة وذلك نتيجة أسباب مختلفة منها: غياب «التربية المعيارية» والاحتكام إلى «التربية المتأرجحة» التي لا تستقيم على نظام، ولا ترتبط بقانون ثابت.

ففي حين ينعم أبناء الأسر الملتزمة بالمنهج المعياري بالاستقرار النفسي، والتوازن العاطفي والانفعالي، تضطرب مشاعر الأبناء المحرومين من هذا النوع من التربية المحتكمة إلى المعيار نتيجة التصادم الشديد بين المثال الذي يتحدث عنه الآباء، والصورة المترجمة واقعياً التي تصطدم بالمثال، وتعارضه، وتذهب به في اتجاه آخر.

✎ ~ ~ ~

openkandil.com

المزاجية أم المعيارية؟!!

obeikandl.com

ومما يلحظ على «التربية المتأرجحة» أنها تربية لا ترتكز إلا على المزاج الأبوي، وعلى الحالة النفسية التي يكون عليها الآباء أو الأمهات. لذلك فهي تربية متذبذبة يرتفع مؤشر قبولها في ذهن الطفل يوما، ثم ينخفض الإحساس بجدوى الكلام النظري والأمثلة المجردة في فترة تالية، وفقا لمدى الاقتراب أو البعد بين نظريات الآباء، وممارساتهم السلوكية.

ففي مثل هذا النوع من التربية المرتبكة ترى الأب يتحدث عن «فضيلة الصدق» على أنها قيمة أخلاقية رفيعة ويجب الالتزام بها، ثم لا يمانع أن يكذب على أبنائه أو زوجته، أو من خلال الهاتف على مرأى ومسمع من عائلته، ضاربا عرض الحائط بفضيلة الصدق التي أشاد بها ودبج فيها الخطب والكلمات المطولة..!!

ويتحدث عن «احترام الوقت» في حين يدمن التأخير في الرجوع إلى البيت ليلا، عائداً من جلسة أنس وسمر!!

ويتحدث عن «الوفاء بالوعد» وهو لا يفتأ يقدم لأبنائه الوعود تلو الوعود على أنه سيفعل كذا وكذا ثم تمر الأيام ولا يفي بشيء من وعوده!!

ولك أن تتساءل ـ أيها القارئ اليقظ ـ هل يقدر مثل هذا الأب على صناعة الإنسان السوي، المتوافق مع نفسه، المنسجم مع المبادئ والمثل، المؤمن بإمكانية العيش وفق النظام الأخلاقي رغم أنه بلسان حاله يخترق الخطوط الحمراء مرات عدة في اليوم؟

ألن يتشكك الأبناء بصعوبة تجسيد الأفكار العليا إلى أعمال منظورة، وحقائق مطبقة؟

ثم ماذا عن طبيعة العلاقة بين الطرفين ترى هل ستبنى على الثقة أم على الشك حين يرون الأفكار العظيمة تترنح على معارك السلوك السلبي، وتتدحرج الكلمات على الأقدام التي تفعل خلاف ما تقول.

وبعكس "التربيةالمتأرجحة" الفاقدة للمصداقية التي تقف على رمال متحركة من الأفكار والآراء تأتي «التربية المعيارية» التي لا تحتكم إلى المزاج، والاختيار العشوائي للكلمات والمواقف، إنما تنبع من إيمان الأبوين بجدوى التوافق بين كلماتهم وسلوكهم ومواقفهم الحياتية.

والذي يميز هذا النوع من التربية الحس العالي بالمسؤولية الذي يدفع الآباء باتجاه تجويد أدائهم التربوي، حيث القدوة الحاضرة، والتوجيه السديد، ووجود النظام، والحزم المؤيد بالعقل والحكمة، والحوار الذي يقرب بين وجهات النظر، ويسهل تمرير الأفكار من وإلى الصغار نتيجة الثقة برأي الآباء، والقدرة على

obeikandl.com

التعبير عن المشاعر، وكأثر للتربية المؤسسة بالدليل التي تنشد الإقناع كهدف في حد ذاته لا تضحي به أو تستبدله بالأوامر الفوقية السلطوية التي ينفر منها المستمع، ويكرهها كل مستقبل لها مهما كان وضعه أو صفته الاجتماعية.

كل تلك الوسائل الجيدة تنتعش في مثل تلك الأسرة «المحتكمة إلى المعايير والموازين الصحيحة» فالخطأ خطأ ولا يمكن أن يسمى بغير اسمه، والصواب جوهر السلوك والأقوال التي تصادق الحقيقة، وتعبر عنها، وتلتقي بها باختيار ذاتي لا بإكراه أو قسر أو إجبار.

إن ميزة «التربية المعيارية» أنها تربية علمية مدعمة بالدليل، لذلك يكبر الأطفال وهم على يقين من أن الثروة الروحية والقيمية التي قدمها لهم الآباء ستتضاعف مكاسبها، حين يحافظون عليها ولا يستبدلون بها ما يصطدم معها، أو يقلل من رصيدها الكبير(*).

~ ~ ~ ✎

(*) للتوسع في القراءات التربوية ننصح بقراءة أطفال اليوم و كيف نربيهم (1993م) المختار عمر، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله: تونس.

obeikandi.com

الآباء....أولاً

من بين أسئلة عدة وصلتني في أثناء مشاركتي في إحدى الحلقات الإذاعية بإذاعة الشارقة سؤال مركب بعث به أحد الأطباء النفسيين ووجدته يحمل الكثير من الظلال والمعاني الهادفة.

جاء السؤال على النحو التالي: "ما مدى إمكانية استدراك جوانب القصور المعرفي والسلوكي الذي يعاني منه الآباء. وهل ثمة اقتراحات معينة تقنع الآباء بتغيير أساليبهم التربوية غير الفاعلة".

خطورة هذا السؤال تكمن في أنه ينفذ إلى الحقيقة الغائبة عن وعي كثير من الآباء والأمهات حول أهمية أن يراجعوا رصيدهم من الخبرة العلمية، ويقومو أداءهم السلوكي، لكي يتسنى لهم الارتقاء بأدواتهم التربوية بعيداً عن الاجتهادات الخاطئة، والتجارب العشوائية التي لا تستند إلى حقيقة علمية، ولا يدعمها رأي وجيه.

غير أن ما يؤدي إلى تفاقم هذا الوضع الذي يعاني منه الآباء هو المكابرة في الاعتراف بالحاجة إلى مزيد من التأهيل في الأدوار التربوية، إذ نقف ـ مع الاسف الشديد ـ على جملة من ردود الأفعال التي لا تليق بمن تسلموا أعظم المهمات وأرقاها وأكبرها أثراً وقيمة.

obeikandl.com

والسبب في الهجوم غير المبرر على الرأي الذي يطالب أولياء الأمور بالاجتهاد في اكتشاف أفضل الوسائل التي تدعم أهدافهم التربوية، يرجع مع الأسف إلى فكرة التراكم الأكيد للخبرة من خلال الزمن المتاح دون أن يشترطوا توظيف الزمن لإحداث التغيير الايجابي في شخصية الانسان.

فحوى هذه النظرية المنغلقة هي أن تجربة السنين الطويلة في الحياة تكفي وحدها لإنضاج سلوك الآباء، وتغذية عقولهم بشتى أنواع المعرفة التي يحتاجون إليها في حياتهم الأسرية.

وبالتالي فليس ثمة حاجة إلى مزيد من الجهد في هذا الجانب لأن الخبرة المتراكمة وطول العهد بمزاولة المهام التربوية تفيان بالغرض وتحققان المطلوب!!

لقد اعتقد هؤلاء الناس خطأ بوجود علاقة طردية تربط بين الإنسان والزمن، فكلما مرت السنون زاد الوعي وتطورت الخبرة وارتقت المعرفة، ونضج السلوك، واكتمل عقل الإنسان وأصبح مهيأ ليقود من هو أصغر منه ويوجه الأجيال التالية طالما أن الفارق الزمني بين الجيلين كبير.

وكلما تباعد الفارق الزمني ـ حسب هذا الرأي الأعوج ـ اقترب الكبار من دائرة الكمال واتصلوا بالحكمة التي تنقاد إليهم طوعاً واختياراً.

obeikandi.com

الغريب حقاً أن عدداً كبيراً من الناس لم يكتشف خطأ هذه النظرية وهشاشتها، وأنها لا تعدو أن تكون ثرثرة فضحها الواقع وجردها من كل عناصر الفاعلية والتأثير.

لقد فرق العلم الحديث بين نوعين من الزمن، هما الزمن الخارجي والزمن الداخلي، ورأى أن الزمن الخارجي لا يعدو أن يكون زمناً تراكمياً يحسب بالثواني والساعات وهو غير ذي قيمة، وهو ما سماه الإغريق «chronos».

فالدقيقة هنا لا تساوي أكثر من ستين ثانية، والساعة ـ من هذا المنظور ـ تتحكم في حياتنا.

ومن هنا جاءت النظرة القيمية للزمن التي تفصل ما بين المرور المجرد للوقت وما بين الفاعلية في التعامل مع الوقت.

فالوقت الحقيقي هو الذي يكون وعاءً لتحقيق نوع من الفوائد المعرفية والخبرات المتنوعة التي تثري حياة الإنسان العقلية والروحية والمعنوية، وتضيف إلى رصيده من النجاح ما يضاعف من حماسه لاستثمار المزيد من الوقت في التطوير أو النمو والإيجابية. وعلى هذا فالزمن الداخلي هو الزمن الخارجي بالإضافة إلى قيمته، الأمر الذي يهدم نظرية العلاقة الطردية بين الإنسان والزمن، ويمهد لفلسفة جديدة تهتم بمناقشة طريقة التعامل مع الزمن وتميز بين الأداء الجيد والأداء الرديء، وتنتقد من يهدر وقته ويبدد السنوات الطويلة اعتماداً على نظرية روّجها الجهل وانتشرت

في الأوساط الشعبية وبين الفئات التي حرمت من مصادر المعرفة الحديثة(*).

إن إصلاح منظومة الأفكار التي لدى الآباء والأمهات هو المرحلة الأولى التي تمهد لإصلاح الممارسات التربوية، وتهيء لإنجاح الأهداف الكبرى التي يطالب بها التربويون والمشتغلون بقضايا التنشئة الأسرية في عالمنا اليوم.

~ ~ ~ ✎

(*) للاستزادة : كي تعرف قيمة الوقت. www.3ee.com

obeikandi.com

البنية التحتية للتربية الواعدة

هب أن القدرة على التكيف مع الوسط الاجتماعي قد تهيأت للفتيان والفتيات، وأصبح من السهل عليهم الاندماج مع الوسط المدرسي، و الاجتماعي فهل يعد هذا الإنجاز التربوي كافيا للحكم على هذه الفئة بأن أفرادها أصبحوا مهيئين لاجتياز التحديات التي تواجههم بكفاءة ونجاح؟!

إن إجابة هذا السؤال تتوقف على عدة عوامل يجب أن يأخذها الآباء والتربويون بجد واهتمام.

ولعل من أهم هذه العوامل تكوين الحس الناقد الذي يرفض التقليد والانسياق وراء الأفكار السائدة دون أن يعرضها على ميزان العقل، ويقومها من خلال المعيار الذي تربى عليه.

ومما لا يخفى على كل من يعنيه إصلاح البيئة المحيطة بالشباب أن مفهوم التربية الناقدة أصبح من المفاهيم الغائبة عن أذهان من أسندت إليهم مسؤولية رعاية الجيل.

وفيما لو تقدمنا خطوة في استيعاب أثر هذا البعد التربوي على شخصية الأبناء فسوف ينكشف لنا وجود علاقة طردية بين التدريب على ممارسة النقد، وبين قوة الدفع الذاتي لإنجاز المسؤوليات التي تسند للصغار حيث يتولد في نفوسهم قدر من

obeikandi.com

الشجاعة على رفض الانسياق وراء الأفكار السطحية والهامشية التي تستهدفهم دون ملل.

وسواء كان التدريب على ممارسة النقد الذي يدعو إليه أهل التربية تدريبا حواريا يمارسه الابن أو البنت مع الأبوين، أو مع المعلمين والمعلمات، أو في أثناء المكوث في المدرسة، أو كان تدريبا تطبيقيا من خلال دعوة الناشئ إلى القيام بتصرف ما للتعبير عن الاستياء والرفض للسلوكيات الخطأ التي تحدث أمامه فإن للواقع لغته العاجزة وجهله المطبق بالدور الوقائي الذي تصنعه التربية النقدية في نفوس الناشئة!!

إن تعويد الصغار على إنكار الخطأ، والاستياء من السلوك السلبي، والتعبير اللفظي الصريح عن الرفض وعدم القبول بكل ما يتنافى مع القيم والآداب سواء كان ذلك التعبير بالقول والعبارة المباشرة أو بالسلوك والعمل الحي هو خيار أمثل يعمل على تكوين الفرد الإيجابي، المتفاعل مع الحدث، والقادر على أن يتخذ موقفا واضحا منه، معتمدا على قناعاته الخاصة، وعلى إيمانه بأن الحياة لن تتقدم إلاّ من خلال الالتزام بالمعايير القيمية والأخلاقية، التي يمثل الدفاع عنها الخط الفاصل بين الخير والشر(*).

ولكي يصل الفرد إلى ذلك المستوى المتقدم من الإحساس بالواجب يجب أن يتربى على حماية البيئة التي تحيط به من أن

(*) للوقوف على أبجديات التربية الواعدة راجع كتاب: السبيعي، عدنان، نمو اللغة والمعرفة و الذاكرة، 2000م، دار الفارابي: دمشق .

openkanaf.com

تكون وعاء يختلط فيه الحسن بالرديء من الأفكار والأقوال، ويجب أن يسمع من أبويه ومن معلميه شيئًا من النقد للممارسات السلبية التي تحدث على مرأى ومسمع منه في الواقع الملموس أو على شاشات التلفاز أو على صفحات المجلات والصحف.

وكلما كان الكبار أكثر قدرة على فتح حوار مباشر وصريح حول أسباب الرفض والاستياء من تلك الأخطاء تهيأ للطفل أن يرتبط أكثر بميزان القيم، طالما أن من يثق بهم ويتخذهم قدوته في الحياة يمارسون دور الحارس الأمين الذي يبادر إلى لفت الانتباه وتصحيح الأخطاء كلما رأى أو سمع ما يسيء إلى الذوق والأخلاق.(*)

ما يعزز من أثر التربية الناقدة دعوة الآباء والمربين الناشئة لتقديم أفكار عملية حول الوسائل التي يقترحون القيام بها من أجل إيصال رسالة إلى الطرف الذي يمارس السلوك الخطأ مفادها، أن فعله لا يقابل بالترحيب من قبل الجميع، وأن ثمة من يدينون الخطأ في المجتمع ولا يتوانون عن نقده بصوت مسموع!!

ولن يبخل النشء بتقديم عشرات الاقتراحات حول الطرق والوسائل الممكنة لتقليل هامش الفرص أمام الأخطاء للحدوث في المستقبل!!(**)

(*) صناعة الرواد 2001 / مريم عبدالله النعيمي، ابن حزم، بيروت.

(**) لتكوين رؤية معمقة لأدوار الأسرة انظر في أعمال ندوة دور الأسرة في رعاية وتنمية الطفل نظرة مستقبلية، 9-18 أبريل / 2000، عدد من المؤلفين، المجلس الأعلى للطفولة، حكومة الشارقة.

obeikandi.com

إن تكوين الحس الناقد هو بداية صحيحة للتربية على الاستقلالية في الحكم على المواقف المختلفة، واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها.

✎ ~ ~ ~

obeikandl.com